

## ما المقصود بطهارة الروح ونقاؤها؟ وكيف يصل القلب إلى هذه المرتبة؟

### طهارة الروح ونقاؤها شرط للنمو واكتساب الملكات القلبية

كما تعلمنا في الدروس السابقة، فإن أهم ما يملكه الإنسان، والذي يبقى معه بعد الموت، هو قلبه وروحه. القلب هو الذي يحدد مدى جودة حياتنا، سواء في الدنيا أو في الآخرة، وكلما ازدادت ملكات الإنسان الروحية، زاد شعوره بالسعادة والطمأنينة في الدنيا، وكان في الآخرة أقرب من الله وأهل البيت (عليهم السلام). ولكن، ما المقصود بالملكة هنا؟

إن الملكة القلبية هي ما يمنح كيان الإنسان قيمة ووزناً حقيقياً. عادةً ما يقيم الناس أنفسهم إما من خلال الثروات المادية مثل الجمال والقوة البدنية، أو من خلال الثروات الوهمية مثل المنصب والشهرة، أو من خلال الثروات العقلية مثل الشهادات العلمية والمعلومات. لكن هذه ليست ممتلكات حقيقية تحدد قيمة الإنسان، بل إن ثروة حقيقية تكمن في قلبه، فالقلب هو حرم الله<sup>١</sup> وهو الوعاء الوحيد القادر على استيعاب النور الإلهي واللامحدود.

إن الإنسان، في حقيقة جوهره، لا يرتقي إلى مرتبة الإنسانية إلا عندما يكون قلبه مركزاً للإشراق الروحي، ومأوى للسكينة والطمأنينة، وموطناً لحضور الله. فمن بين جميع أوعية الوجود، لا يوجد وعاء يتسع لعظمة الله ولامتناهيته سوى القلب. وعليه، يجب أن ينصب اهتمامنا وعنايتنا على صيانة قلوبنا وتطهيرها؛ فالقلب الذي يسعى لاستقبال نور الله يجب أن يكون منزهاً عن كل دنس وشائبة. إن الله تعالى ييسر لنا سبل الارتقاء نحو الكمال والvirورة عندما يكون وعاء القلب جاهزاً لاستقبال التحول والتغيير. أما إذا كان القلب غافلاً عن هذا الاستعداد، فإن مجرد التواجد في مجالس العلماء الربانيين والأساتذة الأخلاقيين لن يحقق لنا ذلك التحول

<sup>١</sup> قال الصادق عليه السلام: القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله، جامع الأخبار ص ٢٨.

المنشود. في هذه الحالة، لن نحصد سوى كم هائل من المعلومات التي تثقل عقولنا، دون أن تحدث أي تغيير في قلوبنا. والنتيجة الحتمية لذلك هي قسوة القلب.

الأشخاص الذين يجمعون كمّاً هائلاً من المعلومات دون نية صادقة في تحقيق النضج الروحي وبلوغ مراتب انسانية، سرعان ما يفقدون حتى ذلك القدر الضئيل الذي لديهم من نور داخلي، بل وقد ينحرفون تماماً عن طريق الحق. لذلك، من الضروري أن يكون القلب مستعداً لاستقبال المعرفة والتحول قبل السعي لاكتسابها، وهذا لا يتحقق إلا من خلال طهارة الروح.

ليس المقصود **بالطهارة** مجرد نظافة بدنية، بل هي رحلة ذات مرحلتين: طهارة ظاهرية، وطهارة باطنية. فالطهارة الظاهرية تعنى نقاء الجسد والملبس من النجاسات المادية، وهو ما يتناوله الفقه والأحكام الشرعية بالتفصيل. أما الطهارة الباطنية، فجوهرها تطهير الروح من كل دنس داخلي؛ ذلك أن الطهارة الحقّة تبدأ من المادة والجسد، ثم تسمو إلى قوة الخيال والوهم، لتستقر أخيراً في رحاب العقل، فيتسنى لنا أن نقيم حسابات عقلية صحيحة، وأن تستنهض مداركنا العقلية القلب، فتهديه إلى سواء السبيل.

وفي هذا الدرس، نسعى إلى استجلاء مفهوم طهارة الروح، ونتفحص العوامل التي تساهم في نمو القلب وثروته المعنوية. فصفاء القلب هو مرآة تعكس جمال الروح، ونقاءه هو السبيل إلى السمو الروحي والارتقاء المعنوي. معرفة الذنوب واجتنابها: الخطوة الأهم نحو طهارة ونقاء الروح

خلاًفاً لما قد يتبادر إلى الأذهان، فإن السعي نحو الخلود لا يتطلب بالضرورة القيام بأعمال خارقة أو إنجازات استثنائية. بل إن توجيهات الحكماء وأهل الدين تركز في جوهرها على الامتناع عن الكثير من الأمور. بمعنى آخر، فإن الأولوية القصوى تكمن في اجتناب المحرمات والآثام قبل الإكثار من فعل الخيرات.<sup>٢</sup> فطهارة الروح لا تتحقق

٢ . الإمام علي (عليه السلام): اجتناب السيئات أولى من اكتساب الحسنات، غرر الحكم ١٥٢٢

بالضرورة بكثرة الأعمال، بل بالامتناع عن دنس الذنوب. فكم من قلب أثقلته الآثام، وكم من روح أضناها التلوث، فكانت الخطوة الأولى نحو النقاء هي التخلي عن تلك الأوزار. إنها رحلة تطهير تبدأ بالوعي، وتستمر بالعزم، وتتوج بالسكينة.

الذنوب أشبه بالجراثيم، فكما يُصاب الجسد بالتسمم عند تناول طعام ملوث، ويظل ضعيفاً حتى يتمكن من التخلص من الجراثيم، كذلك تتلوث الروح بالذنوب وتُصاب بالمرض، مما يمنعها من النمو واكتساب ملكات روحية. إذا مرت علينا سنوات من الصلاة والعبادة والدعاء والزيارة دون أن تزرع فينا السكينة والطمأنينة، وإذا كنا رغم انشغالنا بمعارف عرفانية وأعمال مستحبة لا نزال نشعر بالحزن والاكتئاب، فهذا يعني أننا، سواء عرفنا ذلك أم لم نعرف، قد ارتكبنا خطيئة أثقلت أرواحنا وسرقت منا فرصة التحليق نحو الكمال.

إن أذكىء من الناس، والذين يرغبون في تسريع خطاهم على طريق التشبه بالله واكتساب المراتب المعنوية، يركزون على ترك الذنوب بدلاً من الاستثمار في العبادات الكثيرة؛ لأن الذنب أشبه بثقب في السفينة، قد يجر معه إلى قاع البحر أكبر الرساميل والممتلكات. وعليه، يجب علينا أولاً أن نسعى في معرفة الذنوب والابتعاد عنها، ثم نتبع ذلك بأداء أعمال الخير. وفي هذا السياق، فإن الخطوة الأولى هي معرفة الذنوب الظاهرية وتركها، ومن بين الذنوب الظاهرية، يعد اجتناب [اللحمة الحرام](#) هو الأهم. فاللحمة الحرام تؤدي إلى خيالات محرمة وأفكار شركية في الفرد، وتمنع القلب من اكتساب المؤهلات اللازمة للوصول إلى الحق واجتذابه. فاللحمة الحرام تقضي على جميع المكتسبات المعنوية، وقد تصل بالإنسان إلى مواجهة إمام زمانه. والمثال البارز على هؤلاء الأشخاص

هو شمربن ذي الجوشن، الذي رغم أنه كان من أهل العبادة في بداية حياته، لكن انحرف عن الصراط المستقيم انحرافاً تاماً في نهاية المطاف.<sup>٣</sup>

بعد تجنب الذنوب الظاهرية، تأتي مرحلة التطهير من الذنوب القلبية، وهي الأخطر والأشد تأثيراً. فطهارة القلب لا تعني فقط تجنب القمار، أو شرب الخمر، أو السرقة—على الرغم من أهمية ذلك—بل الأهم هو ألا يتورط القلب في الرذائل الأخلاقية مثل الحسد، والتكبر، وسرعة الغضب، والبخل، والحساسية المفرطة، وحب التفاخر.

لأن التخلص من هذه الأمراض أصعب بكثير من الابتعاد عن الذنوب الظاهرية، وإذا لم يطهر الإنسان قلبه منها، فقد تلازمه في الآخرة وتسبب له العذاب لقرون طويلة.

لذلك، علينا أن نتصرف في جميع جوانب حياتنا بطريقة تحمي طهارتنا الباطنية وأن لا نترك قلوبنا تقع في براثن التلوث. على سبيل المثال، إذا كنا نعلم أن امتلاك سيارة فاخرة أو الحصول على شهادة علمية مرموقة قد يدفعنا إلى الغرور والتباهي على الآخرين، فمن الأفضل أن نتجنب ذلك تماماً، لأن الحفاظ على نقاء القلب أهم من أي إنجاز دنيوي.

#### هندسة المحبوبات: خطوة أخرى نحو طهارة الروح

الروح مرآة تعكس ما فيها، فإن أردت أن ترى فيها نور الله، فطهرها من أدران الذنوب وأوهام الدنيا. فالذنوب ليست وحدها ما يلوثها، بل كل ما يشغل القلب عن ذكر الله، وكل ما يلهي العقل عن التفكير في آياته، وكل ما يصرف الجوارح عن طاعته، هو من أسباب ظلمة الروح. الروح تتغذى بما تعشق، فإن عشقت الله وأهل بيته

<sup>٣</sup> . «شمربن كان من الأشخاص الذين حضروا في جيش الإمام علي عليه السلام في معركة صفين. لم يكن شمربن فقط في جيش الإمام، بل إنه تعرض أيضاً لجروح في هذه المعركة. وقد ذكرت العديد من المصادر جرح شمربن في هذه المعركة.» (الطبري، ج ٢، ص ٦٣١)

والجهاد في سبيل الله،<sup>٤</sup> سمت وارتقت، وإن عشقت الدنيا وزخارفها، هوت وانحطت. فاحرص على أن يكون

معشوقك هو الله، وأن يكون قلبك متعلقاً به، وأن تكون جوارحك منقاداً لأمره.

إن أردت أن تصل إلى طهارة الروح، فابدأ بمعرفة الذنوب وتجنبها، ثم انتقل إلى تهذيب القلب وتزكياته، ثم

اجعل معشوقك هو الله وحده، ولا تجعل لغيره في قلبك مكاناً.

في هذا الدرس تحدثنا عن طهارة الروح ونقاؤها، ودورها في تحقيق النمو الإنساني. وذكرنا أن أهم عامل لتحقيق

هذه الطهارة هو معرفة الذنوب وتجنبها. كما تطرقنا إلى دور [هندسة المحبوبات](#) في تحقيق الصفاء الروحي.

---

<sup>٤</sup> سورة التوبة، الآية ٢٤